

رسالة

رؤية الهلال



المؤلف :

آية الله العظمى السيد رضا حسيني نسب



المقدّمة

للبحث عن رؤية الهلال دور بارز في علم الهيئة و النجوم و كذلك في علم الفقه الإسلامي. و ذلك لأنّ كثيرا من القضايا الفقهية و الأحكام الشرعية - كالمباحث التالية - تدور مدار هذا البحث:

- مناسك الحج.
- تعيين عيد الفطر و عيد الأضحى.
- تشخيص بداية شهر الصيام.
- تعيين بداية كلّ شهر قمري آخر للقيام بالأعمال المستحبة فيه.
- العلم بعدد السنين و الحساب لمعرفة السنوات القمرية و خصائصها.
- معرفة اوقات خسوف القمر و كسوف الشمس لإقامة صلاة الآيات في وقتها، الى غير ذلك من المباحث الفلكية و الفقهية.

القرآن الكريم يهتمّ بهذا الموضوع، حيث نرى أنّه يحتوي على 27 آية حول القمر و أحواله، بالإضافة إلى آيات اخرى تبحث عن الشهور القمرية.

يقول الله عزّ و جلّ في الآية الخامسة من سورة يونس:

"هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُعْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ".

و نقرأ في الآية 96 من سورة الأنعام قوله سبحانه، كما يلي:

"قَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ".

و يقول جلّ جلاله في الآية 33 من سورة الأنبياء:

"وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ"

و يقول سبحانه في الآية 39 من سورة "يس":

"وَالْقَمَرَ قَدَرْتَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ".

و يقول أيضا في الآية 40 من نفس السورة المباركة:

"لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ".

عند التدبّر في هذه الآيات الكريمة، نتمكّن من إدراك بعض الفاهيم الراقية في فلسفة خلق القمر و الأحكام الفلكية المترتبة على حركة هذه الكرة السماوية و قضايا رؤية الهلال في معرفة الشهور القمرية. سنذكر انشاء الله في هذه

الوجيزة بعض تلك الأحكام التي لها دور في تشخيص رؤية الهلال.

و على هذا الأساس، نحاول في هذه الرسالة أن نهتمّ بالأمرين التاليين:

الأمر الأول: البحث عن القضايا المهمّة حول كرة القمر و ميزاتها الأساسية و بعض أحكامها الفلكية، التي تمهّد لنا الطريق لمعرفة الهلال و أحكامه.

الأمر الثاني: البحث عن القضايا التي تتعلّق برؤية الهلال و كيفية إثباتها و بيان النظريّات المختلفة في تعيين بداية الشهور القمرية من وجهة نظر علمي الفلك و الفقه.

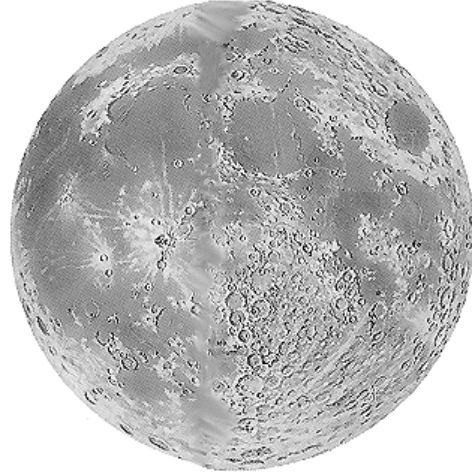
الميزات العامة لكرة القمر

في هذا الفصل، نذكر بعض المعلومات العامة حول كرة القمر،
لتمهيد الطريق إلى معرفة رؤية الهلال.
ههنا مطالب أساسية تأتي بها فيما يلي:

المطلب الأول:

كرة القمر هي القمر الفلكي الوحيد الذي يدور حول الأرض، و
متوسط سرعتها حول الكرة الأرضية يعادل $1/0.22$ كيلومتر في
الثانية.

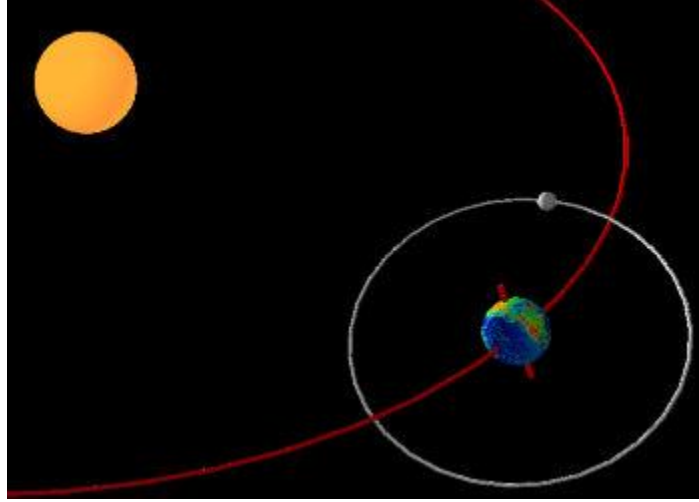
و قطرها الاستوائي يساوي 3476 كيلومتر، و المسافة
المتوسطة بينها و بين الأرض هي 384403 كيلومتر.
للقمر حركة انتقالية حول الأرض و مدتها 27 يوما و 7 ساعات
و 43 دقيقة.



و جهة الحركة الانتقالية للقمر هي على خلاف عقربة الساعة، أي: من الغرب إلى الشرق.

و للقمر أيضا حركة وضعية تطول دورتها الكاملة لمدة شهر واحد. و بعبارة اخرى: يدور القمر حول الأرض لمدة شهر واحد، و في نفس المدة يدور حول نفسه مرة واحدة.

تصل حرارة القمر في القسم المضيء منه إلى 105 درجة مئوية فوق الصفر. كما تنخفض برودته في القسم المظلم منه إلى 155 درجة مئوية تحت الصفر.



تبتعد كرة القمر عن كرة الأرض في كل عام بمقدار حوالي ٢ سم.

نصف القمر يواجه كرة الأرض دائما و هو المسمّى بالقسم الظاهر أو الجانب القريب، و نصفه الآخر يختفي عن الأرض دائما و هو الذي يسمّى بالقسم المستتر أو الجانب البعيد، فلايمكن لنا أن نرى هذا الجانب للقمر من وجه الأرض أبدا.

المطلب الثاني

الأرض و القمر يسمّيان في مصطلح علم الفلك بالزوجين الفلكيين غير المتكافئين، فكلّ واحد منهما يدور حول الآخر في الحقيقة، ولكن حيث أنّ الأرض أثقل بكثير من القمر، فلايكون مركز الثقل لحركتيهما الدورانية المذكورة في منتصف الطريق بين الأرض و القمر تماما، بل يكون بجانب الكرة الأرضية، و لأجل هذا نحسّ بأنّ القمر يدور حول الأرض فقط و لانحسّ بحركة الأرض الدورانية حول مركز الثقل الواقع بينهما. و هذه الظاهرة هي السبب لمدّ مياه البحار و المحيطات التي تقع على ظهر الأرض بالنسبة إلى القمر، أي: في جانب من الأرض، الذي لا يواجه القمر. و سنشرح هذه الظاهرة في المطلب التالي.

المطلب الثالث

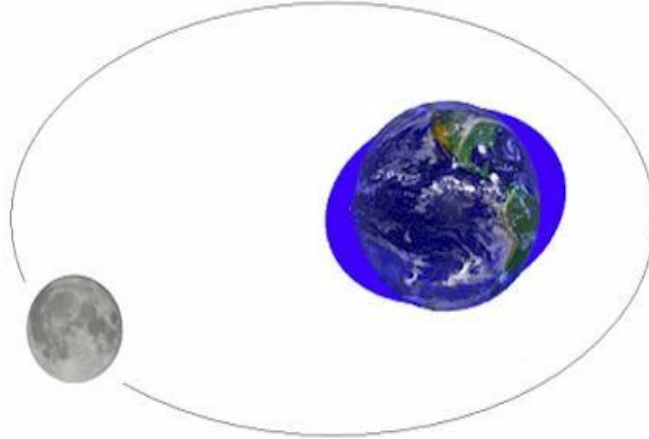
تقع على وجه الأرض منطقتان تسمّيان بقمّتي المدّ. تتشكّل إحدى القمّتين على وجه من الأرض، الذي يواجه القمر، على

امتداد الخطّ الواصل بين مركز القمر و مركز الثقل الجاذبي الذي مرّ بيانه في المطلب السابق.
و تتشكّل القمّة الثانية في الجانب المقابل، الذي لا يواجه القمر.

السبب لمدّ البحار في الجانب المواجه للقمر واضح، لأنّ جاذبية كرة القمر تؤثّر على مياه المحيطات و البحار و تجرّها إلى خارج الأرض. ولكن ما هو السبب لمدّ المياه الواقعة على الجانب الآخر للأرض، الذي لا يواجه القمر؟

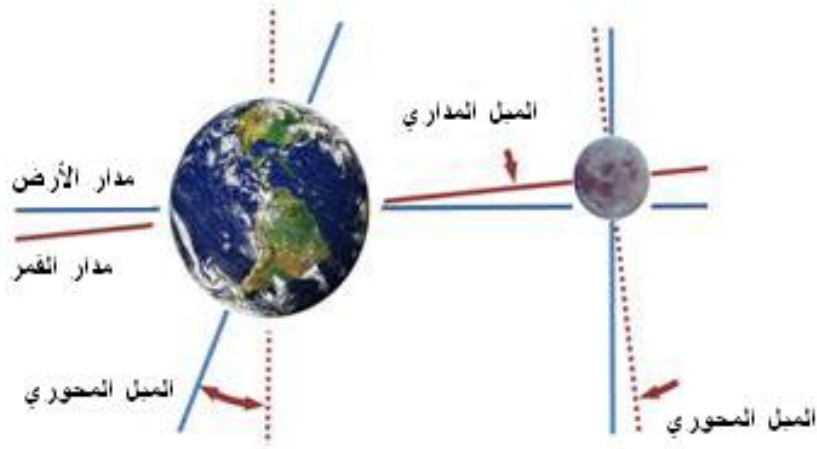
كما ذكرنا آنفا، تدور الأرض أيضا حول مركز الثقل الجاذبي، الذي يقع بين الأرض و القمر.

ولأجل هذا، تتكوّن قوّة دافعة في الجهة المذكورة ، و هي التي تسبّب المدّ في تلك المنطقة من الأرض.



المطلب الرابع

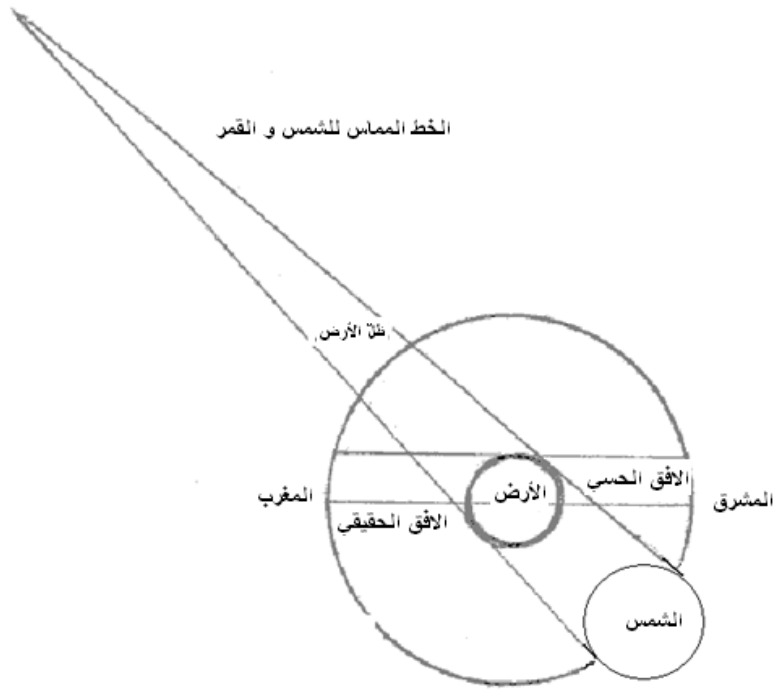
لاتنطبق الصفحة المدارية للقمر في حركته حول الأرض على الصفحة المدارية للأرض في حركتها حول الشمس. بل تميل عنها بمقدار أكثر من خمس درجات. و لو لم يكن الأمر كذلك، لكنّا نرى الخسوف في كلّ شهر، عندما تقع الشمس و القمر و الأرض على امتداد خطّ واحد، و في مثل تلك الحالة المفروضة، لم يمكن تحقق البدر أبداً.



المطلب الخامس

حيث أن لخسوف القمر دوراً في قضية رؤية الهلال، نشير إلى بعض المسائل في هذا الخصوص مع مراعاة الاختصار.

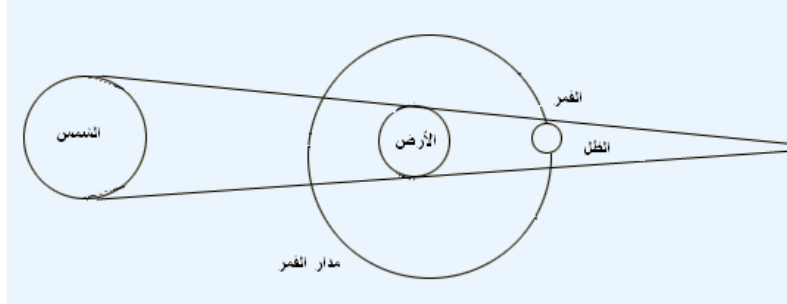
فنقول: لأجل أنّ الشمس أعظم جرماً من الأرض، فالمستضي من الأرض أكثر من نصفها دائماً، كما قال أرسطرخس في الشكل الثاني من رسالته في جرمي النيرين:
 "إذا قبل الضوء كرة صغرى من كرة عظمى منها كان الجزء المضيء منها أعظم من نصفها".



وظلّ الأرض على شكل مخروط مستدير يلازم رأسه جهة منطقة البروج. فالنهار مدة كون المخروط تحت الأفق والليل مدة كونه فوقه.

فعند كون الشمس تحت الأرض، كلما ازداد قرب الشمس من شرقيّ الأفق، يزداد ميل المخروط إلى غربيه، حتى يرى

الشعاع المحيط به، وترى قطعة مستقيمة فوق الأفق وهو الصبح.



عندما يدخل القمر في ظلّ الأرض، فيتحقق الخسوف.

و حيث أنّ الصفحة المدارية للقمر في حركته حول الأرض لا تنطبق على الصفحة المدارية للأرض في حركتها حول الشمس، بل تميل عنها بمقدار أكثر من خمس درجات - كما مرّ بيانه - فيسير القمر في نصف الشهر فوق صفحة دائرة البروج، و يتحرّك في نصفه الآخر تحتها. و على هذا الأساس، توجد نقطتان على الدائرتين المذكورتين، و يقطع القمر في حركته الدورانية دائرة البروج في هاتين النقطتين؛ و تسمّى إحداهما "عقدة الرأس" أو "العقدة الشمالية"، و الأخرى "عقدة الذنب" أو "العقدة الجنوبية".

بنأ على هذا الأساس، أنّما يتحقق الخسوف عند تحقق الشرطين التاليين:

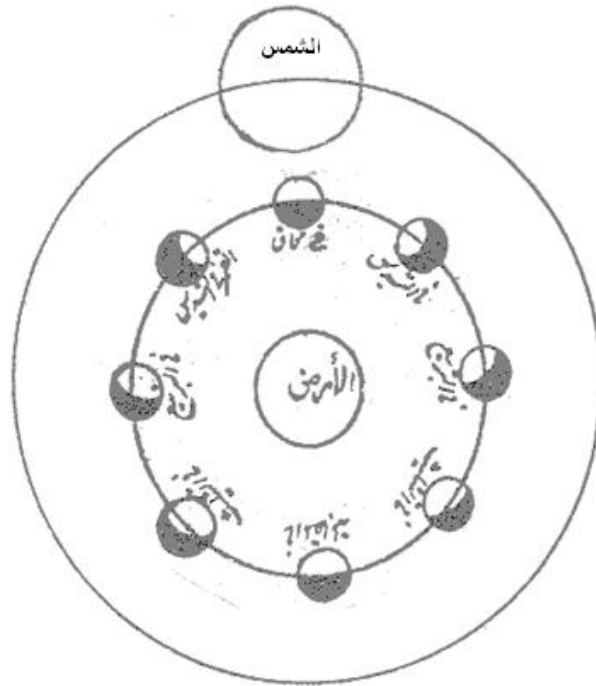
الشرط الأول: أن تقع الأرض بين الشمس و القمر.

الشرط الثاني: أن يصل القمر في حركته حول الأرض إلى إحدى النقطتين المذكورتين، أي: عقدة الرأس أو عقدة الذنب.

الشهر القمري و رؤية الهلال

للقمر حالات مختلفة من المحاق والهلال والبدر وغيرها كالثلث والتربيع والتسديس. وذلك لاختلاف أوضاعه بالقرب والبعد عن الشمس و زاوية ميل القسم المضيء منه بالنسبة إلى الأرض.

ففي حال الاجتماع، وجهه المضيء إلى الشمس، والمظلم إلينا وهو المحاق. وعندما ابتعد عنها يسيراً نرى قليلاً منه وهو الهلال. ثم يزداد بزيادة البعد عنها إلى التسديس ثم التربيع ثم الثلث ثم المقابلة، وفي حال المقابلة تنعكس حالته الأولى وهو البدر.



ثم يزداد في التقارب إلى الشمس فيؤل إلى المحاق.
و لعلّ الله سبحانه و تعالى يشير إلى هذه الحالات في قوله
الكريم:

**"هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا
عدد السنين والحساب".** (سورة يونس، الآية 5).

و من الجدير بالذكر أنّ ابتداء الشهور عند المسلمين يتعلق
برؤية الهلال، و حيث أنّه يمكن رؤية أوّل هلال عند غروب
الشمس، فيكون وقت الغروب مبدئاً للشهر القمري.

الشهر الحقيقي و الشهر و الوسطي

يجدر بنا ههنا أن نشير إلى بعض المصطلحات الفلكية في
مقام التعريف عن أقسام الشهر القمري، فنقول:

قسّم علماء الهيئة الشهر القمري إلى قسمين:

1. الشهر القمري الحقيقي
2. الشهر القمري الوسطي

الشهر القمريّ الحقيقي هو من هلال إلى هلال وأقل أيامه
تسعة وعشرون يوماً وأكثرها ثلاثون يوماً. ولا يمكن أن تكون
الأشهر المتوالية ثلاثين يوماً أزيد من أربعة أشهر، ولا يمكن أن

تكون الأشهر المتوالية تسعة وعشرين يوماً أزيد من ثلاثة أشهر، كما برهن على ذلك في الزيج البهادري¹.

وأما الشهر الوسطي، فيأخذه أصحاب الأزياج على ضابطة الحركات الوسطية للكواكب، فيبدأون بالمحرّم ويأخذونه على الضابطة المذكورة ثلاثين يوماً؛ ويأخذون صَفراً تسعة وعشرين يوماً وهكذا يأخذون كل شهر فرد كالمحرّم وكل شهر زوج كصفر.

وحيث أنّ بداية الشهر الحقيقي الهلالي في شرعنا الإسلامي تثبت برؤية الهلال، لا الحركة الوسطية، قال الشهيد الأول في اللمعة الدمشقية: ((ولا عبرة بالجدول))². والمراد من الجدول هو كتب الأزياج المبتنية على حركات الكواكب الوسطية.

و من جهة اخرى، قسّم بعض الفلكيين الشهر القمري إلى قسمين كالتالي:

1. الشهر الهلالي.

2. الشهر النجومى.

الشهر الهلالي: هو عبارة عن المدّة الزمنية لدوران القمر حول الأرض من وجهة نظر الناظر على وجه الأرض.

¹ الزيج البهادري وهو من أدق الأزياج، ص 50 و 51 . ط 1 .

² اللمعة الدمشقية، كتاب الصوم، القول في شروطه.

و ينقسم هذا النوع من الشهر أيضا إلى قسمين:

1. الشهر الهلالي بالرؤية.
2. الشهر الهلالي بالحساب.

و إليك تفاصيل البحث في هذين القسمين:

الشهر الهلالي بالرؤية

نقصد بالشهر الهلالي بالرؤية نفس الشهر القمري الحقيقي الذي أشرنا إليه آنفا. و على هذا الأساس، يبدأ الشهر القمريّ المذكور من لحظة رؤية الهلال و ينتهي عند رؤية الهلال الآخر. و أقل أيامه تسعة وعشرون يوماً و أكثرها ثلاثون يوماً. ولا يمكن أن تكون الأشهر المتوالية ثلاثين يوماً أزيد من أربعة أشهر، ولا يمكن أن تكون الأشهر المتوالية تسعة وعشرين يوماً أزيد من ثلاثة أشهر، كما مرّ بيانه.

الشهر الهلالي بالحساب

المقصود بذلك هو نفس الشهر القمري الوسطي كما شرحناه سابقا.

يبدأ هذا الشهر بوقوع القمر و الشمس و الأرض في امتداد خطّ واحد (أي: في لحظة المحاق)، و ينتهي بعد دوران القمر

حول الأرض دورة كاملة و وصوله إلى نفس الحالة المذكورة و
المحاق الآخر.

و مدّة دوران القمر حول الأرض من المحاق إلى المحاق من
وجهة نظر الناظر على وجه الأرض، هي 29 يوماً و 12 ساعة و
44 دقيقة.

و بعبارة اخرى، طول الشهر الهلالي بالحساب هو عبارة عن:
٢٩/٥٣٠٥٩ يوماً.

و حيث أنّ الفلكيين يذكرون عدد أيام الشهر القمري من دون
ذكر الكسور، فيأخذها أصحاب الأزياج على ضابطة الحركات
الوسطية للكواكب و يبدأون بالمحرّم و يأخذونه على الضابطة
المذكورة ثلاثين يوماً، و يأخذون صَفراً تسعة وعشرين يوماً
وهكذا يأخذون كل شهر فرد كالمحرّم وكل شهر زوج كصفر، إلا
في خصوص السنوات الكبيسة.

الشهر النجومى

الشهر القمري النجومى عبارة عن مدّة دوران القمر دورة
كاملة من المنظر النجومى، لا من وجهة نظر الناظر على وجه
الأرض.

و مقدار الشهر المذكور هي الفاصلة الزمنية بين وقوع القمر و
الأرض و كوكب ثابت آخر في الفضاء (خارج المجموعة
الشمسية) على امتداد خط واحد، و بين رجوعه إلى نفس
الموقع مرّة اخرى بالتوالي.

و بعبارة اخرى، الشهر النجومى عبارة عن مدّة زمنية يدور القمر فيها دورة كاملة بالنسبة إلى كوكب آخر أو آية نقطة ثابتة اخرى في الكرة السماوية.
و مقدار تلك المدّة الزمنية هو 27 يوما و 7 ساعات و 43 دقيقة و 11 ثانية.
و بعبارة اخرى، المدّة الزمنية للشهر النجومى هي ٢٧/٣٢١٤٦١ يوما.
و قد يسمّى الشهر النجومى بالشهر الطبيعي أيضا.

رؤية الهلال

إذا رأى الهلال في بلد، فهل يثبت حكم الرؤية في ساير البلدان، أو لكلّ بلد حكم نفسه؟ هيئنا أقوال عديدة نذكر نبذة منها، تبصرة لمن أراد التبصر في المقام:
فأعلم أنّ علمائنا -رضوان الله عليهم- قد اختلفوا في هذه المسألة. فقال المحقق الحلّي في كتابه شرايع الإسلام:
(وإذا رأى في البلاد المتقاربة كالكوّفة وبغداد، وجب الصوم على ساكنيهما أجمع، دون المتباعدة كالعراق وخراسان، بل يلزم حيث رأى.)³

وقال المحقق الشيخ فخر الدين في شرح القواعد:

³ شرايع الإسلام، كتاب الصوم، القول في شهر رمضان، الكلام في علامته.

((ومبنى هذه المسألة على أن الأرض هل هي كروية أو مسطحة؟ والأقرب الأوّل، لأنّ الكواكب تطلع في المساكن الشرقيّة قبل طلوعها في المساكن الغربيّة وكذا في الغروب، وكلّ بلد غربيّ بعد عن الشرقي بألف ميل يتأخّر غروبه عن غروب الشرقي ساعة واحدة، وإنّما عرفنا ذلك بأرصاد الكسوفات القمرية حيث ابتدأت في ساعات أقل من ساعات بلدنا في المساكن الغربيّة واكثر من ساعات بلدنا في المساكن الشرقيّة، فعرفنا إنّ غروب الشمس في المساكن الشرقيّة قبل غروبها في بلدنا، وغروبها في المساكن الغربية بعد غروبها في بلدنا. ولو كانت الأرض مسطحة لكان الطلوع والغروب في جميع المواضع في وقت واحد. ولأنّ السائر على خط من خطوط نصف النهار إلى الجانب الشمالي يزداد عليه ارتفاع الشمالي وانخفاض الجنوبي وبالعكس.))⁴

والمحدّث البحراني بعد ما نسب إلى الشيخ القول بتساوي حكم البلاد المتباعدة في الهلال وأنّه إن علم طلوعه في بعض الأصقاع وعدم طلوعه في بعضها المتباعد عنه لكروية الأرض لم يتساو حكماهما، أمّا بدون ذلك فالتساوي هو الحق - قال:

"و ما ذكره (قدس سره) هو الحق المعتضد بالأخبار الصريحة الصحيحة التي نقل بعضها".

⁴ الحدائق الناضرة، المجلّد 13، كتاب الصوم، مبحث هل يختلف حكم البلاد المتباعدة في الهلال؟ ص 254، نقلا عن شرح القواعد.

ثمّ قال:

"وملخصه أنا نقول بوجوب الصوم أو القضاء مع الفوات متى
ثبتت الرؤية في بلد آخر قريبا أو بعيدا"⁵

و قد ذهب صاحب الجواهر أيضا إلى أنّه إذا رُوي هلال شهر
رمضان في بلد معيّن، فيحكم بوجوب الصيام في جميع البلدان
الأخرى. (جواهر الكلام، المجلد 16، الصفحة 361).

فعرفت أنّ طائفة من العلماء ذهبوا إلى تساوي حكم البلاد
المتباعدة في الهلال مطلقا، وطائفة أخرى ذهبوا إلى اختلاف
ذلك مطلقا.

أمّا أستاذنا العلامة الأملي فقد ذهب إلى التفصيل في هذا
المقام حيث قال:

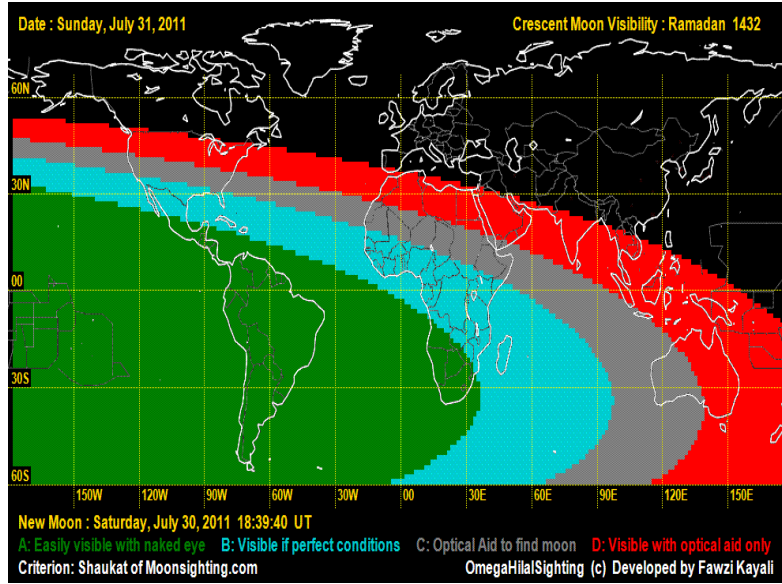
"نعم، الكلام في الأفق النائية مبني على تفصيل وهو أن
الهلال إذا رُوي في الأفق الذي هو بالنسبة إلى الأفق
البعيدة عنه شرقي وتلك الأفق غربيّة عنه، رُوي الهلال في
تلك البلاد النائية الغربيّة من دون عكس ولا يمكن تفاوت ما
بين الهلالين بأكثر من يوم واحد قط، وهذا هو القول الفصل
المحقّق عندنا"⁶.

⁵ نفس المصدر ص 299.

⁶ دروس معرفة الوقت و القبلة، درس 75 ص 350.

و قد أفنى بعض الفقهاء على أساس هذا التفصيل بأنه إذا
رؤي الهلال في منطقة شرقية، فيكون قابلاً للرؤية في البلدان
التي تقع في غربها.

و لكننا لا نستطيع أن نحكم بتعميم هذا التفصيل. لأننا إذا
نظر إلى خرائط امكانية رؤية الهلال في بداية كل شهر
قمرى، سنرى أنه من الممكن أن يرى الهلال في بلد شرقي
يقع تحت خط الاستواء، و لكن لا يمكن مشاهدة الهلال في
بلد غربي يقع فوق خط الاستواء.



نموذج من خرائط امكانية رؤية الهلال

بناءً على هذا، لا يكون التفصيل المذكور عامّاً و شاملاً لكلّ
المناطق.

النظرية المختارة

وجهة نظرنا من الناحية الفقهية و الفلكية في هذا الخصوص، هي كالتالي:

إذا تثبتت إمكانية رؤية الهلال على وجه القطع و اليقين بالعين المجردة في يوم معيّن و في إحدى بلدان الأرض، فيكون اليوم التالي بداية الشهر القمري الجديد بالنسبة إلى جميع البلدان.

و قد ذهب إلى هذا الرأي كثير من الفقهاء الإمامية كصاحب الجواهر، و صاحب الحدائق، و الفيض الكاشاني في كتاب الوافي، و السيّد محسن الحكيم في كتاب المستمسك، و المحقق النراقي في كتاب مستند الشيعة، و المحقق الخوئي في كتاب منهاج الصالحين و غيرهم.

الاستدلال على هذه النظرية

هيهنا أدلة كثيرة تدلّ على نظريتنا المختارة، و نحن نذكر نماذج منها مع مراعاة الإيجاز:

الدليل الأول

من الأدلة التي تدلّ على نظرية اشتراك البلدان في حكم رؤية الهلال، هو إطلاق الأحاديث الواردة في إقامة البيّنة على رؤية الهلال في يوم الشكّ. و إليك بعض تلك الروايات:

الرواية الاولى: هي صحيحة الحلبي عن الإمام الصادق (عليه السلام) و هي كالتالي:

"فاذا رايت الهلال فصم و اذا راينه فافطر. قلت: أرايت ان كان الشهر تسعة و عشرين يوما اقضى ذلك اليوم؟ فقال: لا الا ان تشهد لك بينة عدول؛ فان شهدوا انهم رأوا الهلال قبل ذلك فاقض ذلك اليوم". (وسائل الشيعة، الباب 5 من ابواب احكام شهر رمضان، الحديث 9).

يكون هذا الحديث من جهة سنده صحيحا و يعتمد عليه الفقهاء و علماء الرجال و الدراية.

مضافا إلى أنّ الحديث المعتبر لابن سنان و الحديث المعتبر لزيد الشحام أيضا وردا على نفس السياق و يؤيدان الصحيحة المذكورة. (وسائل الشيعة، الباب 5 من ابواب احكام شهر رمضان، الحديث 19).

أما دلالة اطلاق هذه الصحيحة على المطلوب فهو واضح، و ذلك لأنّ الإمام (ع) لم يقيد ثبوت رؤية الهلال من قبل البينة بمكان دون مكان، كبلاد المكلف و سائر البلدان. و الحال أنّه لوكان لهذا القيد دور في ثبوتها و وجوب قضاء يوم الشك على المكلف، لكان الإمام (ع) يقدر على ذكره.

الرواية الثانية: هي معتبرة منصور ابن حازم عن الإمام الصادق (عليه السلام) و هي كالتالي:

"صم لرؤية الهلال و افطر لرؤيته، فان شهد عندكم شاهدان مرضيان بانهما رأياه فاقضه". (وسائل الشيعة، الباب 11 من ابواب احكام شهر رمضان، الحديث 4).

هذا الحديث أيضا يدلّ بإطلاقه على المطلوب، بالتقريب المذكور.

الرواية الثالثة: هي معتبرة أبي أيوب الخزاز عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، حيث يقول:

"و اذا كانت فى السماء علة قبلت شهادة رجلين يدخلان و يخرجان من مصر". (وسائل الشيعة، الباب 11 من ابواب احكام شهر رمضان، الحديث 10؛ و تهذيب الاحكام، المجلد 4، الحديث 451).

بنأ على هذا الحديث، يجب على من لم يصم في يوم الشك أن يقضيه إذا شهد شاهدان معتبران على رؤية الهلال في ذلك اليوم.

كما ذكرنا سابقا، تكون هذه الرواية أيضا مطلقة بالنسبة إلى مكان رؤية الهلال من قبل الشاهدين من دون تقييدها بمكان خاص، قريبا كان أو بعيدا.

أمّا ادعاء انصرافها إلى الرؤية في نفس البلد المعين أو البلد القريب، فهي دعوى بلا دليل.

مضافا إلى أنّ الحديث الثالث (أي: معتبرة أبي أيوب الخزاز) يصرّح بورود الشاهدين من خارج البلد إلى البلد و خروجهما منه.

و أما دعوى انصراف الأحاديث المذكورة إلى المدن القريبة فقط، فهي أيضا بلا حجة معتبرة. لأنه لو كان الأمر كذلك، لكان الإمام (ع) يذكر القيد المزبور و لم يجعل المخاطب يذهب إلى خلاف الواقع بتركه ذاك التفصيل.

و على أساس ما ذكرنا، يدلّ إطلاق الروايات المذكورة على أنّ رؤية الهلال في بلد معيّن - سواء كان قريبا أو بعيدا - تتلقّى بالقبول في جميع البلدان.

الدليل الثاني

أما الدليل الآخر على اشتراك جميع البلدان في رؤية الهلال، هو اطلاق المنطوق في الروايات التي تدلّ على توقّف وجوب الصيام أو الإفطار على رؤية الهلال.

منها: حديث أبي العباس عن الصادق (ع) و هو كالتالي:

"الصوم للرؤية و الفطر للرؤية". (وسائل الشيعة، الباب 11 من ابواب احكام شهر رمضان، الحديث 12).

فالرؤية في هذا الحديث و أمثاله مطلقة غير مقيدة بشخص خاص أو مكان معيّن. فيشمل الرؤية على نحو الإطلاق، سواء

كانت بواسطة المكلف في بلده، أو بواسطة الآخرين في بلدان أخرى، و سواء كانت تلك البلدان الاخرى قريبة أو بعيدة.

أمّا دعوى بعض الفقهاء لانصراف الروايات من هذا القبيل إلى الرؤية في بلد المكلف فقط أو بلد قريب دون البعيد، فقد مرّ الجواب عنها آنفاً و أثبتنا أنها دعوى بلا دليل معتدّبه.

و قد اعترض البعض على هذا الاطلاق و ادّعى أنّ تلك الفئة من الروايات قد صدرت لبيان الحكم الظاهري للمكلف و وظيفته في مقام الشكّ، و لم تصدر لبيان إثبات الشهر القمري أو عدم إثباته برؤية الهلال. فلا إطلاق لها من هذه الجهة.

و يمكن الجواب عن هذا الاعتراض بأنّ الكلام أنّما هو في خصوص المنطوق للأحاديث المذكورة، و هو يدلّ على تعليق تحقق الشهر القمري على الرؤية، و ذلك على نحو الإطلاق.

أما الحكم الظاهري للمكلف في مقام الشكّ، فهو مستفاد من مفهوم تعليق الصيام بالرؤية، لا من منطوق الحديث.

فيبقى منطوق الأحاديث المذكورة على حاله و هو يدلّ على اشتراك جميع البلدان في رؤية الهلال، كما مرّ بيانه.

الدليل الثالث

و هيهنا فئة اخرى من الأحاديث الإسلامية تدلّ بإطلاقها على ما ذهبنا إليه، و نحن نذكر بعضا من تلك الروايات:

الرواية الأولى: عن الامام صادق (ع) في خصوص شخص قد صام 29 يوما، و هي كالتالي:

"ان كانت له بينة عادلة على اهل مصر انهم صاموا ثلاثين على رؤيته، قضى يوما". (وسائل الشيعة، الباب 5 من ابواب احكام شهر رمضان، الحديث 13).

هذا حديث معتبر من جهة السند، فإنه رواية صحيحة رواها هشام ابن الحكم عن الإمام أبي عبدالله الصادق (ع).

أما دلالته على المطلوب فهي واضحة. و ذلك لإطلاقه في رؤية أهل مصر (بمعنى أهل بلد)، فيشمل أيّ بلد، من دون التقييد ببلد خاص، قريبا كان أو بعيد.

الرواية الثانية: و هي صحيحة ابي بصير عن الامام جعفر الصادق (ع) حيث يقول:

"انه سنل عن اليوم الذي يقضى من شهر رمضان، فقال: لاتقصه الا ان يثبت شاهدان عدلان من جميع اهل الصلاة متى كان راس الشهر. و قال: لاتصم ذلك اليوم الذي يقضى الا ان يقضي اهل الامصار فان فعلوا فصمه". (وسائل الشيعة، الباب 12 من ابواب احكام شهر رمضان، الحديث 1).

هذه الرواية واضحة الدلالة على اشتراك جميع البلدان في قضية رؤية الهلال.

و ذلك لأنّ عبارة "جميع أهل الصلاة" تدلّ على كلّ المسلمين في العالم، و لا دليل على تقييدها بمكان دون مكان، أو بمكان قريب دون البعيد.

مضافا إلى هذا، فإنّ عبارة "يقضي أهل الأمصار" أيضا تدلّ على كلّ البلدان على وجه الأرض.

و بناءً على هذا الأساس، إذا رُوي الهلال بواسطة شاهدين في أي بلد من بلدان الأرض، فيكفي ذلك لإثبات بداية الشهر القمري لكلّ المسلمين في جميع البلدان.

الرواية الثالثة: هي صحيحة اسحاق بن عمار و صحيحة عبدالرحمان ابن ابي عبدالله عن الامام جعفر صادق (ع) و هي كما يلي:

"سالت ابا عبدالله (ع) عن هلال شهر رمضان يغم علينا في تسع وعشرين من شعبان؟ قال: لاتصم الا ان تراه، فان شهد اهل بلد آخر فاقضه". (وسائل الشيعة، الباب 3 من ابواب احكام شهر رمضان، الحديث 9؛ و الباب 8، الحديث 3).

لاشكّ في اعتبار هذه الرواية و صحتّها، فإنّها صدرت عن طريقين صحيحين من وجهة نظر علم الرجال.

و أما دلالتها على المطلوب، فهي لإطلاقها الشامل لرؤية أهل أيّ بلد آخر، قريبا كان أو بعيدا.

أمّا دعوى الانصراف إلى البلدان القريبة فقط فهي بلا وجه وجيه و لا حجّة معتبرة. و قد شرحنا الموضوع سابقا، فلاحاجة إلى التكرار.

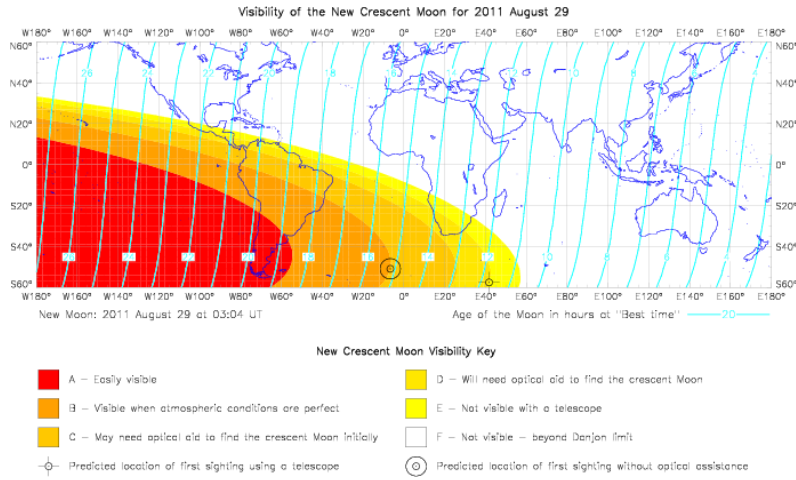
و لأجل هذا، يقول المحقق النراقي في "مستند الشيعة" في مقام الردّ على الدعوى المذكورة :

"فان قيل: المطلقات انما تنصرف الى الافراد الشائعة، وثبوت هلال احد البلدين المتباعدين كثيرا في الاخر نادر.

قلنا: لا اعرف وجهها لندرته، وانما هي تكون لو انحصر الامر في الثبوت في الشهر الواحد، ولكنه يفيد بعد الشهرين واكثر ايضا. وثبوت الرؤية بمصر في بغداد او ببغداد لطوس او للشام في اصفهان ونحو ذلك بعد شهرين او اكثر ليس بنادر، لتردد القوافل العظيمة فيها". (مستند الشيعة، المجلد الاول).

إذا ننظر إلى خرائط امكانية رؤية الهلال بعين الاعتبار، نجد أنّ انصراف الأحاديث المذكورة إلى البلدان القريبة فقط و التفصيل بين البلدان القريبة و البعيدة في هذا الخصوص، هو كلام لأصل له من الأساس.

لأنه من الممكن أيضا أن تكون رؤية الهلال ممكنة في بلد معين، و لكن لايمكن ذلك في بلد قريب منه أصلا. فإذا كان مبنى من يدعي الانصراف أنه إذا رُوي الهلال في بلد معين فيمكن رؤيته في البلدان القريبة لامحالة، دون البلدان البعيدة، فهذا المبنى باطل من الأساس.



ففي هذه الخريطة مثلا، ترى الألوان المختلفة من الأحمر و الأصفر و الأبيض و غيرها. و كل لون تدلّك على مرتبة معينة لإمكانية رؤية الهلال. و اللون الأبيض يخصّ المناطق التي لايمكن رؤية الهلال فيها أصلا.

و كما ترى، يمكن وجود بلدين قريبين يقعان في طرفي الحدّ الفاصل بين لونين مختلفين، بحيث أنه يمكن رؤية الهلال في احدهما بنحو خاص، و لايمكن ذلك في الآخر، رغم أنّهما قريبان من الناحية الجغرافية.

و لأجل هذا، ردّ أحد المعاصرين على القول بانصراف الأحاديث إلى البلدان القريبة دون البعيدة بحجة أنّه إذا رؤي الهلال في بلد معيّن فلا بدّ من الرؤية في البلدان القريبة منه. و قال:

"ان هذا الحمل ليس له معنى محصل، لان البلاد القريبة اذا اريد بها البلاد المتصلة او كالمتصلة بالبلد والتي تكون من اطرافه وحواليه فهذا من الواضح انه لا يمكن حمل عنوان «مصر آخر» عليها ولا يظن ارادة المشهور لذلك، وان اريد بها البلاد التي تبعد عن البلد مسافة عرفا بحيث يصدق عليها انها امصار اخرى فمن الواضح ان رؤية الهلال في الامصار الاخرى لا تستلزم رؤيته في البلد في كل شهر ولو كانت قريبة خصوصا اذا كان غربيا بالنسبة الى البلد، لما اشرنا اليه من ان امكان الرؤية للهلال في كل شهر بالنسبة لبقاع الارض ليس على وتيرة واحدة وفي بقاع معينة في تمام الشهور القمرية، بل يختلف من شهر الى شهر، فقد تكون دائرة امكان الرؤية في شهر من الشهور تنتهي الى حد ذلك البلد الغربي القريب من بلدنا فلا يكون امكان الرؤية فيه مستلزما لامكانها في بلدنا، وهذا يعني انه لا يكفي حمل هذه الروايات على البلاد القريبة، بل لابد اما من الاقتصار على رؤية الهلال في البلد وما يتصل به من الاحياء وهذا الغاء لهذه الروايات جميعا، او الاستعانة بالهيئة ونحوها لاحراز الدائرة من البقاع الارضية التي يمكن ان يرى فيها الهلال في كل شهر، فلا يحكم بدخول الشهر فيما يخرج عنها ولو كان قريبا، بخلاف ما يقع

فيها ولو كان بعيدا عن بلد الرؤية، وحمل الروايات على مثل ذلك كما ترى". (رؤية الهلال في بلد آخر، آية الله الشاهرودي).

و على أساس ما مرّ من الأدلّة الثلاثة، إذا تثبت رؤية الهلال في يوم خاص في بلد معيّن، فيكون اليوم التالي بداية الشهر القمري الجديد في ذلك البلد و غيره من البلدان على وجه الأرض، سواء كانت قريبة أو بعيدة.

و نقول في خاتمة هذا البحث: إنّ الأدلّة التي تدلّ على ما ذهبنا إليه من اشتراك البلدان في رؤية الهلال، أكثر مما ذكرنا في هذه الرسالة، و إنّما أتينا بثلاثة منها مراعاة للاختصار.

إثبات رؤية هلال

هل الرؤية العينية هي الطريق الوحيد لإثبات رؤية الهلال و بداية الشهر القمري، أم يمكن الاعتماد على اثبات إمكانية الرؤية في ضوء علم الفلك و قواعده الرصينة؟ و جوابا عن هذا السؤال، نشير إلى بعض الجهات التي لها دور بارز لمعرفة الحكم الصحيح في هذا الخصوص.

منذ زمن قديم، كان الناس يعتمدون على الرؤية العينية لإثبات بداية الشهور القمرية، و لكنّ العلماء المعاصرين يشكّون في مدى صحّة الرؤية البصرية و دقّتها. و السبب لهذا التشكيك هو وجود ظواهر معيّنة، قد أشار إلى بعض منها أحد الخبراء في هذا الفنّ، حيث يقول:

"إنّ الأجواء والآفاق المحيطة بالكرة الأرضية في هذه الأيام تختلف اختلافاً كبيراً عما كانت عليه منذ قرن من الزمن وحتى قبل أربعين سنة. ولذلك من الضروري إعادة النظر في أسلوب التدقيق والتحقيق المتبع في قبول الشهادة أو رفضها. ولا من أحد يكذب الشهود أو يلومهم لأنهم شاهدوا ما يشبه الهلال في الافق الغربي لأن أمثال تلك الرؤية الوهمية الناتجة عن الخطأ والاشتباه ممكنة الحدوث. فقد حدث أثناء تجربة (لوكد شيفر) بالاستهلال في الولايات المتحدة بأن شهد 15% من المستهلكين برؤية أهلة وهمية. والتجربة كانت على مدى أربع سنوات. و أما الأسباب فهي:

1. إن الآفاق والأجواء المحيطة بالكرة الأرضية ملوثة بالكثير من الأبخرة، والغازات والسحب الدخانية على اختلاف أنواعها ودرجاتها من دخان وضباب (سموك) وبخار ماء، وغشاوة ضبابية، ولطخة، وسخام، ونفثات غازية متقطعة، وغبار و غيرها. الجو اليوم مليء بهذه الأشياء، وكلها تحمل مجموعة من الغازات مثل بخار الماء، وغاز الكلور الناتج عن تبخر مياه البحار والمحيطات، وأول وثاني أكسيد الكربون الناتج عن احتراق البنزين من تحركات السيارات والطائرات، وثاني وثالث أكسيد الكبريت الناتج عن محطات توليد الطاقة الكهربائية ومحطات تكرير النفط، والهيدروجين الكبريتي الناتج عن تفاعل ثاني أكسيد الكبريت في الفضاء مع

بخار الماء في تأثير الأشعة فوق البنفسجية وأول وثاني أكسيد النيتروجين والحرارة و غيرها. ولا يخلو حالياً أفق أو جزء من أجواء الأرض مهما بدا نقياً وصافياً من آثار هذه الغازات السابحة في الأفق الغربي على شكل (ريشة) تبدو لعين الناظر بعد مغيب الشمس كأنها هلال، لأنها بسبب كثافتها المختلفة عن كثافة الهواء وارتفاعها فوق الأفق تعكس أشعة الشمس بعد المغيب وترتفع هذه الشذرات الشاردة من سطح الأرض إلى أعالي الجو على شكل (تدفق ريشي) بسبب حركة الأرض حول نفسها من الغرب إلى الشرق. ويمكن للراصد في هذه الأيام أن يشاهد بالعين المجردة في كل ليلة من ليالي الشهر أهلاً وهمية إذا أمعن النظر بعد مغيب الشمس في كل بلدان العالم تقريباً .

2. إضافة إلى ذلك كل هذه الغازات التي ذكرناها والتي تثير الشكوك في الرؤية يدخل عامل آخر هام يُعرف باسم التلوث الضوئي وهو النور الذي ينتشر في الجو فوق المدن المنارة بالمصابيح الكهربائية في الشوارع والطرق وأمام المنازل والمصانع وما شابه ويؤدي إلى إحداث توهج في الفضاء الذي ينعكس عن بعض الريشات الغازية من الضباب الرقيق التي تأخذ شكل خيط دقيق من النور يشبه الهلال.

3. إنّ تواجد آلاف الأقمار الصناعية المصنوعة من مادة معدنية مصقولة ولامعة وعاكسة للنور (حوالي 6 آلاف قمر صناعي) تدور بشكل مستمر وبسرعة متباينة تصل أحياناً إلى سرعة دوران الأرض حول نفسها ، ويلاحظ الناظر إلى الأفق الغربي بعد المغيب في معظم الأحيان أن الجزء المواجه للشمس من القمر الصناعي يعكس النور فيبدو أنه هلال قمر طبيعي. لذلك من أجل هذا الشيء فإن الواجب الشرعي يدعو إلى التدقيق والتمحيص العلمي في شهادات كل من يتقدم للشهادة برؤية الهلال. مع العلم أنّ اللجنة الدولية لرصد الأهلة في أميركا الشمالية قد وجّهت نداءً بواسطة شبكة الانترنت إلى مجموعة من أعضائها المراسلين وأهل الاختصاص العلمي في السعودية في مكة المكرمة والمدينة وجدة والرياض والطائف وأبها، لكي يستهلّوا مساء الأحد ويرسلوا بتقاريرهم إلى اللجنة بواسطة الانترنت. حيث كان الأفق الغربي في جنوب السعودية (عسير) نقياً وصافياً أكثر من الأفق الغربي في شرقي السعودية (الاحساء) حيث آبار النفط والأبخرة. ففي المكان الملوّث شهدوا برؤية الهلال بينما في المكان الصافي وليس أمامهم سوى البحر (البحر الأحمر) لم يره أحد. ومع ذلك لم يشهد أحد من المستهلكين في الطائف

وأبها والمدينة ومكة وجدة بالرؤية". (علم الفلك و أوائل
الشهور القمرية، الدكتور يوسف مروّة).

و اضيفت ظاهرة اخرى إلى هذه الظواهر المانعة من الحكم
بصحة رؤية الهلال في كثير من الأحيان، و هي وجود بعض
الأمراض الخفية في البصر بحيث لاتعرف إلا بالفحص الطبي
للعين. و وجود هذه الأمراض يوجب الخطأ في البصر و يمنعنا
من قبول شهادة من ادّعى رؤية الهلال بالعين، إلا عند حصول
الاطمئنان بسلامة العين و فقدان العيوب المذكورة. و تلك
الأمراض البصرية هي كما يلي:

- العمى اللوني Colour Blindness
- إعتام عدسة العين Cataract
- المكورّ العنقودي Staphylococci
- شحاد العين الداخلي Internal Sties
- خراج العين Abscesses
- انسداد جفن العين الأعلى Ptosis
- التهاب باطن جفن العين Conjunctivitis
- الحثار Trachoma
- الماء الأزرق في العين Glaucoma
- غلاف العين المشيمي Choroid
- التهاب الشبكية Retinitis
- الكمش البصري Amblyopia
- تيه البصر و عدم التركيز Ametropia

- ازدواجية البصر Diplopia
- الحسر، قصر مرمى النظر Myopia
- الطمس، بُعد مرمى النظر Hyperopia
- خلل في وظيفة بؤرة العين Astigmatism

و بنأ على ما شرحنا، يتعيّن القول بأنّ:

الف- إثبات إمكانية رؤية الهلال بالقواعد الدقيقة الفلكية الموجبة لليقين أقوى بكثير من الاعتماد على الرؤية البصرية.

ب- قبول قول الشاهد الذي يدّعي رؤية الهلال بالعين بيتني على الأمرين التاليين:

1. ثبوت إمكانية رؤية الهلال بحسب القواعد العلمية و الفلكية في زمان و مكان يدّعي الشاهد رؤية الهلال فيهما. فإذا لايمكن رؤية الهلال على أساس القواعد العلمية اليقينية، فلا قيمة لقول المدّعي للرؤية.

2. إثبات سلامة القوّة الباصرة للشاهد المدّعي للرؤية، بالفحص الطّبي.

إثبات رؤية الهلال بالمحاسبات الفلكية

قد أجمع فقهاءنا على أنّ العلم الحاصل بالمحاسبات الفلكية إذا وصل إلى درجة القطع و اليقين، فهو حجة.

فعلى هذا الأساس، إذا قطعنا برؤية الهلال و إمكانيتها في ضوء القواعد الدقيقة العلمية، فيجب علينا العمل بمقتضا هذا اليقين و ترتيب الأثر عليه.

و هكذا، إذا حصل العلم القطعي عند أيّ مكلف بصحة كلام العالم الفلكي الخبير، فيجب على ذلك المكلف أيضا العمل على طبق يقينه.

هذا هو ما عُقد عليه الإجماع عند فقهاءنا الكرام، و ذلك لأن اليقين حجة على من حصل عليه.

من جهة اخرى، لا فرق في القطع برؤية الهلال و إمكانيتها، بين حصوله بالرؤية العينية القطعية، أو بالمحاسبات الدقيقة الفلكية الموجبة لليقين. لأنهما من مصاديق العلم اليقيني، و هو حجة بالإجماع.

و من جانب آخر، تدلّ المصادر الإسلامية على طريقة رؤية الهلال لإثبات بداية الشهر القمري، لا موضوعيتها. فالمهم هو ثبوت بداية الشهر القمري ليترتّب عليها الأحكام الشرعية، و الرؤية البصرية هي إحدى الطرق لإثباتها. و لأجل هذا نرى أنّ الشارع الإسلامي أتى بطرق اخرى لإثبات بداية الشهر، كشهادة الشهود، و إكمال العدة.

و حصول القطع في ضوء المحاسبات الفلكية الموجبة لليقين ببداية الشهر القمري، طريق إلى معرفتها أيضا، و يترتّب عليه

ما يترتب على إثبات بداية الشهر القمري بطرق أخرى كالرؤية العينية، و كذلك البينة.

معاني الرؤية في اللغة و الاصطلاح

أما كلمة "الرؤية" في أحاديث أئمتنا الكرام كقوله (ع): "صم للرؤية و أفطر للرؤية"، فلها معان و مفاهيم مختلفة من وجهة نظر علم اللغة.

و فيما يلي، نذكر نبذة من تلك المعاني :

"رأى" :

- أدرك
- تصوّر
- راقب
- فحص
- حصل على المعرفة و الخبرة
- حقّق
- فتّش
- أخذ بعين الاعتبار
- لاحظ
- نظر بالعقل
- شاهد بالعين
- اعتقد
- فهم المعنى الحقيقي.

و كذلك، قد استعملت كلمة "الرؤية" و مشتقاتها بهذه المعاني في كثير من الآيات القرآنية و الأحاديث الإسلامية الشريفة، كالآيات التالية:

- الآية 19 من سورة ابراهيم
- الآية 18 من سورة الحج
- الآية 7 من سورة المجادلة

إلى غير ذلك من الآيات القرآنية.

و بناءً على هذا، فالإدراك اليقيني بالنسبة إلى المكلف الذي يقطع برؤية الهلال و إمكانيتها، مصداق من مصاديق "الرؤية" من وجهة نظر اللغة و الشرع.
